بين «مشروع ليلى»... وحقوق المسيحيين

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

هناك جانبان في اعتراض بعض المسيحيين في لبنان على إحياء فرقة ذات شهرة لبنانية وعربية وعالمية اسمها "مشروع ليلى" حفلة موسيقية في مدينة جبيل التاريخية. هناك الجانب المضحك... وهناك الجانب المبكي. يلتقي الجانبان عند حال الانحطاط التي وصل إليها بعض المسيحيين اللبنانيين، وهو انحطاط يعبّر عن سقوط حقيقي بدأ باتفاق القاهرة الذي وقعته الحكومة اللبنانية مع منظمة التحرير الفلسطينية قبل نصف قرن، في تشرين الثاني – نوفمبر 1969 وصولا إلى مرحلة صار فيها "حزب الله" يختار رئيس الجمهورية اللبنانية.

المضحك في الأمر أن ليس بين الذين يعترضون من يعرف ما هي "مشروع ليلى" وما أهمّية هذه الفرقة اللبنانية التي سبق لها أن لعبت في جبيل المدينة التي تمتلك تاريخا قديما والتي خرجت منها الأبجدية. هؤلاء لا يعرفون حتّى لماذا تستأهل جبيل كلّ تكريم، بما في ذلك استضافة "مشروع ليلى".

ببساطة، ثمّة حاجة إلى أصوات مسيحية عاقلة تحذّر من خطورة التعرّض لـ«مشروع ليلى». مثل هذا التعرّض بكلام منحطّ يكشف الوضع المسيحي. يكشف خصوصا العجز عن الارتقاء إلى مستوى التحديات التي تواجه لبنان بمسيحييه ومسلميه

من يرفض ظهور الفرقة في جبيل لأسباب لا تمتّ إلى الحقيقة بصلة من قريب أو بعيد لا يسيء إلى جبيل فحسب، بل يسيء إلى المسيحيين اللبنانيين أيضا وإلى كلّ ما له علاقة بالكنيسة والانفتاح على كلّ ما هو حضاري في هذا العالم. مضحك أن يكون "داعش" بين مسيحيي لبنان هذه الأيّام. فمن يتصرّف بالطريقة التي تصرّف بها في الاعتراض على "مشروع ليلى" لا ينتمي سوى إلى "داعش" فكرا وسلوكا. من قال إن "داعش" تعبير عن التطرّف لدى بعض السنّة. يبدو "داعش" موجودا أكثر من أيّ وقت لدى طوائف أخرى. في ما يخصّ بعض المسيحيين اللبنانيين، تبدو "داعشيتهم" غطاء لعنصرية دفينة تجاه الفلسطيني والسوري في ظلّ إعجاب منقطع النظير بالنظام الأقلّوي السوري!

المحزن في الأمر أن الاعتراض على الفرقة الموسيقية وأغنياتها يندرج في سياق السقوط المسيحي الذي بدأ في مرحلة ما بعد حرب العام 1967، عندما استفاقت الغرائز المسيحية من منطلق أن المشروع الناصري، نسبة إلى جمال عبدالناصر، هُزم في المنطقة. قام الحلف الثلاثي في مواجهة الشهابية. كان حزب الكتائب اللبنانية بين أبرز الذين ارتكبوا خطأ كبيرا وقتذاك عندما خرج من الصفّ الشهابي (نسبة إلى الرئيس فؤاد شهاب) لينضمّ إلى الحلف الثلاثي الذي ضمّ الرئيس كميل شمعون والشيخ بيار الجميّل والعميد ريمون ادّه.

كانت لريمون ادّه، ذي النظرة الثاقبة إلى كل ما يدور في لبنان وحوله، حسابات يريد تصفيتها مع إرث فؤاد شهاب. جعله ذلك يسقط في فخّ ما كان ليسقط فيه لو استطاع تجاوز الحساسيات الشخصية لمصلحة ما هو أهمّ من ذلك بكثير، أي للواقع الإقليمي الذي خلفته هزيمة 1967، وهو واقع ما لبث أن انعكس سلبا على لبنان. وقد أنقذ ريمون ادّه، نائب جبيل، لاحقا موقفه ونفسه وصيته عندما تفرّد بين الزعماء المسيحيين في الاعتراض على اتفاق القاهرة متخلّيا عن عقدة رئاسة الجمهورية التي وقع زعماء الموارنة الآخرون في أسرها.

المحزن أكثر من ذلك، هذه الأيّام، في تخلّي مسيحيي لبنان عن القضايا الكبرى والتلهّي بفرقة "مشروع ليلى". هل تغنّي في جبيل أو لا تغني فيها؟ لعب مسيحيو لبنان دورا تاريخيا على كلّ صعيد في المنطقة. لعبوا دورا كبيرا في المحافظة على اللغة العربية. كانت أولى المطابع في المنطقة في لبنان وفي أديرة لبنان. امتلك المسيحيون خبرة كبيرة في نشر العلم والمعرفة في كلّ المنطقة. إذا بينهم الآن من يعترض على "مشروع ليلى" بحجة أنّه يسيء إلى القيم المسيحية. ما هذه الحجّة التافهة التي تكشف حجم تراجع الدور المسيحي في لبنان لمصلحة كلّ أنواع التزمت والانغلاق. منذ متى يمكن لفرقة غناء وموسيقى الإساءة إلى القيم المسيحية في عالم باتت الكنيسة تحتاج فيه إلى موسيقى وغناء كي يأتي إليها المؤمنون يوم الأحد.

في كلّ الأحوال، لم تخدم إثارة الغرائز الدينية المسيحيين في أيّ يوم من الأيّام. في كلّ مرّة لجأوا إلى الغرائز تعرّضوا لنكسة جديدة. لم يساعدهم في يوم من الأيّام غير الانفتاح على الطوائف الأخرى وعلى محيطهم العربي. بدل التلهي بأمور مثل حفلة "مشروع ليلى" في جبيل، يُفترض بهم التفكير مليّا في أن حلف الأقلّيات التي تريد إيران جرّهم إليه هو الطريق الأقصر إلى الكارثة التي تنتظرهم في حال ساروا في هذا الاتجاه. بكلام أوضح، لا يمكن للمسيحيين استعادة أي حقوق بفضل سلاح "حزب الله". وحده اتفاق الطائف، الذي أمّن لهم المناصفة، ينقذهم من أوهام سقطوا فيها عندما أوصلوا سليمان فرنجيّة الجد إلى الجمهورية في العام 1970 من منطلق أنّه رئيس قويّ. لا يمكن الشكّ بالقيم التي كان يمثّلها سليمان فرنجية ولا بوطنيته. ما يمكن الشكّ فيه هو معرفته بما يدور في المنطقة والعالم وعدم تقديره لخطورة دفع المسيحيين إلى حمل السلاح وتشكيل ميليشيات لمواجهة التجاوزات الفلسطينية التي كان مفترضا بالدولة اللبنانية كلّها بمسيحييها ومسلميها وضع حدّ لها. لم يدر سليمان فرنجية وغيره من الزعماء المسيحيين أن تشكيل الميليشيات المسلّحة لم يكن سوى لعبة تصبّ في خدمة النظام السوري الذي كان يعدّ نفسه ليكون قوة فصل بين الفلسطينيين والمسيحيين وبين المسلمين والمسيحيين في كلّ الأراضي اللبنانية. بقي الجنوب استثناء. لا وجود سوريا فيه لأن إسرائيل وجدت بعد 1976 أنّ لديها مصلحة في بقاء المسلّحين الفلسطينيين فيه بحجة أنّ لديها "الحاجة إلى الاشتباك معهم بين حين وآخر".

في كلّ مرّة كان على لبنان التفكير في كيفية حماية نفسه، جاء من يثير الغرائز المذهبية، خصوصا لدى المسيحيين لإدخالهم في لعبة ارتدت عليهم دائما بالويلات. من هذا المنطلق، هذا ليس وقت إثارة الغرائز ولا وقت اعتراضات على "مشروع ليلى". هذا وقت التفكير الجدّي في الأزمة الاقتصادية التي يعاني منها البلد، وهي أزمة تهدد بالإطاحة بلبنان كلّه وبمصارفه.

ببساطة ليس بعدها بساطة، ثمّة حاجة إلى أصوات مسيحية عاقلة تحذّر من خطورة التعرّض لـ"مشروع ليلى". مثل هذا التعرّض بكلام منحط يكشف الوضع المسيحي. يكشف خصوصا العجز عن الارتقاء إلى مستوى التحديات التي تواجه لبنان بمسيحييه ومسلميه. يأتي في مقدّم هذه التحدّيات السلاح غير الشرعي التابع لإيران. يكشف خصوصا حال التدهور في الوسط المسيحي. لم يعد من طموح لدى الشاب المسيحي في لبنان سوى الهجرة. ولكن ما الذي يمكن توقعه من بلد لم يعد فيه بين المسيحيين من يدعو إلى وقفة تأمّل والتساؤل: أين كنّا وأين صرنا بعدما صار مطلوبا استعادة الحقوق بسلاح "حزب الله"؟ كيف كان ممكنا أن يفوت لبنان على نفسه انتخاب شخص مثل الراحل نسيب لحّود رئيسا للجمهورية. هل حظ لبنان بمسيحييه ومسلميه سيء إلى درجة أن نسيب لحود في القبر الآن؟

هل يدخل بوريس جونسون التاريخ؟

محمد قواص
صحافي وكاتب سياسي لبناني

لا مفاجأة كبرى في انتخاب بوريس جونسون على رأس حزب المحافظين. الأمر رصدته شركات الاستطلاع قبل ذلك دون عناء. يقرر المحافظون، أو الأغلبية منهم، حمل رمز قوي من رموز البريكست إلى السلطة في بريطانيا. ومع ذلك تعبّر بريطانيا منذ أشهر، وتعبّر أكثر منذ ساعات، عن وهنها وارتباكها وعن أنها لم تعد "عظمى لا تغيب عنها الشمس".

قدمت بريطانيا منذ الاستفتاء على الخروج من الاتحاد الأوروبي في يونيو 2016 الدليل تلو الدليل على اهتزاز مقلق أصاب نسيجها المجتمعي وعلى ارتباك مخزٍ لطبقتها السياسية. بدا أن الشوفينيةَ المفرطة التي قادت إلى نزوع إلى التعالي على "المشروع الأوروبي" فاحت من عقم فكري أصاب نخبة البلاد الحاكمة.

غابت شخصيات بقامة ونستون تشرشل ومارغريت تاتشر للتعامل مع أسئلة وجودية ملحة وداهمة. وبدا أن أولي اليمين كما أولي اليسار في لندن متفقان على أداء وضيع. لم يعد "العمال" نقيضا حقيقيا لـ"المحافظين" إلا في ما يرتبط بالـ"خربشة" من أجل غرف مقاعد في هذه الدائرة الانتخابية أو تلك. في ذلك أيضا برزت تنظيرات اليساري المفرط جيريمي كوربن زعيم "العمال" من أجل الخروج من أوروبا من باب خلفي يتشاطر به على "المحافظين".

لكن بريطانيا التي تريد "الانفصال" عن الاتحاد لاستعادة سيادتها الكاملة والعودة إلى حضن تاريخ منقرض تحنّ به إلى عظمتها، تكتشف أنها دولة متوسطة الحجم لن تجد في الشبكات الدولية التي تصبو إليها بديلا يعوضها الأرباح الكبرى الاقتصادية والسياسية والسيادية التي اكتسبتها وراكمت جنيها منذ انضمامها الصعب إلى "أوروبا" في سبعينات القرن الماضي.

ناضلت لندن منذ عام 1961 في عهد رئيس الوزراء هارولد ماكميلان للقبول بها عضوا داخل الصرح الأوروبي. كانت بريطانيا التي تعاني من ضائقة اقتصادية ترى في الفضاء الأوروبي مجالا يتيح لها الانتعاش والتغلب على أزمتها. وضع الرئيس الفرنسي الراحل شارل ديغول فيتو ضد طموحات لندن ورفض دخول بريطانيا إلى النادي الأوروبي. رفض ذلك عام 1963 ثم رفض ذلك عام 1967.

رحل ديغول عن حكم بلاده وغادر السياسة وتوفي عام 1970. دخلت بريطانيا إلى "أوروبا" عام 1973. كانت حجة ديغول في رفض بريطانيا أنه لا يريد "حاملة طائرات أميركية" في قلب أوروبا، غامزا من قناة تبعية لندن لواشنطن.

بيد أن بريطانيا هذه الأيام تشكو ضعف أسطولها ولا تبدو أنها أميركية الهوى ولا يكفي أن تكون كذلك للتعويض عن احتمال خروجها، خصوصا دون اتفاق، من الاتحاد الأوروبي. يكفي تأمل موقف بريطانيا من إيران في الأيام الأخيرة لاكتشاف هذا الضعف الذي تعانيه لندن داخل عالم شديد التحولات.

تتخذ بريطانيا موقفا بعيدا عن موقف الرئيس الأميركي دونالد ترامب في مسألة الاتفاق النووي مع إيران. ترفض خيار واشنطن بالخروج من اتفاق فيينا، تعلن تمسكها –كما بقية الدول الموقعة– بالاتفاق، تشارك في صياغة آلية أنستكس الأوروبية للالتفاف على العقوبات الأميركية والاستمرار في القيام بالتبادلات التجارية مع إيران. بالمحصلة تتخذ لندن موقفا أوروبيا يتناقض مع نزوعها نحو "التخلص" من أوروبا.

غابت شخصيات بقامة ونستون تشرشل ومارغريت تاتشر للتعامل مع أسئلة وجودية ملحة وداهمة. وبدا أن أولي اليمين كما أولي اليسار في لندن متفقان على أداء وضيع. لم يعد «العمال» نقيضا حقيقيا لـ«المحافظين» إلا في ما يرتبط بالـ«خربشة» من أجل غرف مقاعد في هذه الدائرة الانتخابية أو تلك

لكن لندن مع ذلك تفرج في الأشهر الأخيرة عن أعراض تموضع وفق الوجهات الأميركية. يعلن وزير الداخلية البريطاني ساجد جاويد (أصبح وزير المالية في الحكومة الحالية) في فبراير الماضي عن وضع حزب الله بجناحيه السياسي والعسكري على لوائح الإرهاب. لا شيء بعينه قد حدث في بريطانيا يحفّز لندن على اتخاذ قرار كهذا من داخل سياق بريطاني. جرى بعد ذلك أن نشرت صحف لندن كشفا مخابراتيا مسربا يتحدث عن مداهمة الشرطة عام 2015 (أي قبل 4 سنوات) لأماكن تخزين للمتفجرات تابعة لحزب الله. بدا أن بريطانيا تستعير من أرشيفها ذرائع تبرر الاستفاقة المتأخرة على الحزب الذي تعتبره واشنطن إرهابيا وتكافحه بالعقوبات. وجرى مؤخرا أن أوقفت سلطات جبل طارق (البريطانية) ناقلة نفط إيرانية بحجة أنها تنقل نفطا إلى سوريا التي لا تتيح لها العقوبات الأوروبية ذلك. بررت لندن الأمر بدواع أوروبية، فيما وزير خارجية إسبانيا أعلن جهارا أن سلطات جبل طارق تصرفت تنفيذا لطلب أميركي.

تهتز سفينة بريطانيا بقوة. واضح أن قيادة السفينة محتارة بين تيريزا ماي الراحلة وبوريس جونسون الوافد. وواضح أن لندن مشتتة الخيارات بين الاستقواء بأوروبا أو التعويل على الولايات المتحدة. بدت بريطانيا منكشفة أمام فضيحة قيام إيران بإيقاف ناقلة النفط البريطانية من قبل الحرس الثوري الإيراني. والفضيحة أن الأمر متوقع وكلاسيكي في الرد في مضيق هرمز على ما حدث في مضيق جبل الطارق، إلا أن لندن بدت مذهولة متفاجئة تتهم طهران بالقرصنة.

واللافت أن لندن التي صدّعت رؤوس العالم بإصرارها على الخروج من الاتحاد الأوروبي، وحتى دون اتفاق وفق وعود بوريس جونسون في أواخر أكتوبر المقبل، لم تجد إلا اللجوء إلى أوروبا، وإلى فرنسا وألمانيا بالذات، من أجل تشكيل قوة بحرية تحفظ أمن ناقلاتها في الخليج. سمعت من واشنطن موقفا مخجلا في أمر محنة ناقلتها المقرصنة في موانئ إيران. خرج وزير الخارجية الأميركي بتصريحه الصادم أن "على بريطانيا الاهتمام بأمن ناقلاتها".

قد يَصْدُق قائل في بريطانيا في أن بوريس جونسون سيدخل التاريخ كون مدة رئاسته لحكومة بريطانية ستكون الأقصر في تاريخ هذا البلد. تتخلى أسماء قيادية كبرى في حزب المحافظين عن زعيمها الجديد. لا أحد يرى كيف باستطاعة هذا الرجل أن ينجح في قيادة بريطانيا في وقت لا يحظى فيه بتضامن قيادة الحزب حتى لو محضته قاعدة الحزب بهذه الشرعية.

تمكنت تيريزا ماي بشقّ النفس من تشكيل حكومتها مع حليفها الأيرلندي، فكيف لجونسون أن ينسج تحالفا من داخل برلمان مشتت متأثر بروحية الانتخابات الأوروبية الأخيرة. أصيب حزب المحافظين بنكسة كبرى مقابل صعود حزب بريكست بزعامة اليميني نايجل فراج، لكن أيضا بصعود حزب الديمقراطيين الأحرار وحزب الخضر. الأمر ينذر بانقلاب المشهد البرلماني برمته إذا ما دعي الناخبون لانتخابات مبكرة تبدو احتمالا واردا.

يصل جونسون لقيادة بلد لا يستطيع الخروج من أوروبا ولا يبدو أن العالم برمته يريده خارج أوروبا. بومبيو صبّ في تصريحه الأخير زيتا على نار المشككين في بريطانيا بالولايات المتحدة وبإمكانية الركون إليها خاصة بقيادة ترامب. تبدو لندن وقد حاصرها الفخّ الإيراني في مضيق هرمز ترتجل ردود الفعل بما يكشف عن غياب أي استراتيجية ناضجة لديها للتعامل مع "القرصنة" الإيرانية من جهة وتكرار تمسكها بالاتفاق النووي من جهة أخرى.

لكن أكثر من ذلك يكشف حدث الناقلة البريطانية وهنا بنيويا يعترف به نائب وزير الدفاع البريطاني توبياس إلوود (السابق الآن بعد تشكيل حكومة جونسون). يقول الرجل إن "حجم قوات البحرية البريطانية صغير جدا كي يحمي مصالح الدولة في جميع أنحاء العالم". يضيف أن "التهديدات التي نواجهها تتزايد، كما أصبح العالم أكثر تعقيدا، إذا أردنا الاستمرار في لعب دور مهم على الساحة الدولية".

في بروكسل هناك من يبتسم بحبور ويعتبر أن وصول جونسون إلى الحكم هو أقصى قمم الفشل البريطاني في الخروج من أوروبا. هناك أيضا من يعوّل على أن بريطانيا ستنقلب على جونسون وعلى نفسها وتعيد تصويب الدفة صوب الخيار الصحيح.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
حذام خريف

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk